غير مقتنعين به، تطلعاً الى واقع اشبه بالسراب في المجتمعات الغربية؟ ثمّة عوامل عديدة تدفع بهؤلاء نحو الهجرة. ويبقى العامل الأقوى، وهو ما تأكد من خلال استقراء الظروف الموضوعية، ومن خلال عشرات الشهادات، هو عامل التعلّق بالحياة الأفضل، والدخل الأعلى، وبمباهج الحياة الغربية، وهو ما تعمل آلة الدعاية الغربية على تغذيته بمختلف السبل. ولعل في توجّه غالبية اليهود السوفيات نحو المهاجر الغربية، والمهاجر الأميركية تحديداً، وليس الى اسرائيل، ما يؤكد صحة هذا الاستنتاج.

هجرة اليهود السوفيات في الثمانينات

تدنّت اعداد اليهود السوفيات المهاجرين في النصف الأول من الثمانينات بشكل ملحوظ. ومع هذا، فقد ظل اعتماد اسرائيل على يهود الاتحاد السوفياتي بالدرجة الأولى، ويهود الأرجنتين واثيوبيا بالدرجة الثانية، اعتماداً اساسياً لضمان الهجرة. وفي الوقت عينه، استمرت ظاهرة الارتداد، اي العزوف عن التوجّه الى اسرائيل وتفضيل المهاجر الأخرى، في التنامي. وهذا ما دعا معلقاً اسرائيلياً معروفاً مثل دافيد هاريس الى القول: «انها سخرية قاسية ان تعمل الصهيونية لتهجير يهود الاتحاد السوفياتي ليذوبوا في بوتقة المجتمع الاميركي». وسأل هاريس: «هل تحوّلت اسرائيل الى شركة سفريات تنقل اليهود من منفى الى منفى؟»[٨]. وهذا ما دعا، أيضاً، مسؤولاً كبيراً، مثل مدير عام وزارة الاستيعاب الى القول: «هنالك منافسة كبيرة بين اسرائيل ويهود الولايات المتحدة الاميركية على يهود الاتحاد السوفياتي»[٩].

ومن خلال متابعتنا لأرقام، وحركة، الهجرة، يمكن أن نلاحظ، بوضوح، التطور الكبير الذي طرأ على ارقام الهجرة، منذ بداية النصف الثاني من الثمانينات. ومن نافل القول ان الاعتبارات السياسية كانت، دائماً، وراء عمليتي «الحدّ» و«التسهيل». ففي نهاية الفترة «البريجينيفية» وما تلاها، كان ثمة توجّه ملحوظ نحو ضغط صنابير الهجرة وتقنينها. ومع بداية الحقبة الغورباتشيوفية، التي شهدت انفتاحاً ملحوظاً في العلاقات الدولية، وفي اطار السياسة الخارجية الجديدة، شهدت العلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية الكثير من مؤشرات «الانفتاح». وكان من ثمرات هذا الانفتاح ازدياد أعداد المهاجرين السوفيات سنوياً، بصورة ملحوظة، منذ النصف الثاني من الثمانينات.

واذا كان في طليعة الأهداف السوفياتية نحو الانفتاح على اسرائيل أن يكون للاتحاد السوفياتي دور فاعل، ومؤثر، في عملية السلام في الشرق الأوسط، فقد كان في طليعة أهداف اسرائيل في الانفتاح المماثل على الاتحاد السوفياتي ودول المجموعة الاشتراكية، موضوع الهجرة. وهذا ما عبّر عنه شمعون بيرس بجلاء، في العام ١٩٨٧، وكان حينها وزيراً للخارجية؛ اذ قال: «ان الوقت أصبح مناسباً لاستئناف الحوار مع الاتحاد السوفياتي، نظراً الى التغييرات الكبيرة التي تجرى هناك... ان اسرائيل لا تضع شروطاً مسبقة لاستئناف العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي، وهي تتوقع موقفاً مماثلاً من السوفيات. ان الحكومة الاسرائيلية ترى في استئناف العلاقات خير سبيل الى التأثير على الاتحاد السوفياتي، لحمله على اطلاق حرية الهجرة لليهود السوفيات»[١٠].

في اطار استغلال اسرائيل لهذا «الانفتاح» النسبي، توجّه المسؤولون الصهيونيون الى «كعب اخيل» المعسكر الاشتراكي: رومانيا. ففي أواسط آب (اغسطس) ١٩٨٧، توجّه اسحق شامير الى رومانيا، وكان في طليعة أهدافه، كما ذكرت صحيفة «عل همشمار» الاسرائيلية، «درس امكان نقل اليهود المهاجرين من الاتحاد السوفياتي من طريق بوخارست مباشرة الى اسرائيل، لتلافي الارتداد في فيينا». ورأت الصحيفة، في حينه، أن «بوخارست لم تعارض صفقة كهذه، من شأنها زيادة